فذلّ الفرنج وضعفت قوّتهم. وتوجّه كثير منهم الى صور وتوجّه السلطان الى عكّا فاخذها. وفرّق عسكره في تلك الاماكن والحصون القريبة منها فاخذوها خلوًا من الفرنج وكانوا ساروا الى حطّين. ثمّ توجّه السلطان الى صور فصعب عليه اخذها لاجتماع الفرنج بها. فتركها وتوجّه الى صيدا. فاخذها بالأمان ثم توجّه لقصد بيروت (ستاتي البقية)

الانتقاد (تابع لما سبق) — ما ينقصنا

٢ القول الجامع المانع

(للشاب الاديب نجيب افندي حيقة مدرّس البيان في كليّتنا)

لقد اتخذتَ لك يا صاح موضوعًا تبحث فيه فبادرتَ الى «تشعيل السراج» واطلتَ النظر في ما جمعتَهُ من الموادّ حتى انجلت لك اسرارهُ وغوامضهُ واصبحتَ على بيّنة واضحة من دقائقه ووثقتَ من نفسك بالكفاءة فاخذت اليراع . . . على رسلك يا اخي ولا تنقل القدم الى ما يُعقب الندم. فان تكن توفّرت لديك الموادّ فعليك ان تُفرز غثّها من السمين. فالاعتماد في البلاغة ليس على الكثرة بل على المفيد. وما كان وقوفك على حقيقة الموضوع ودقائقه ليغنيك عن أن تحلّيهُ بالضبط وتحذف منهُ الفضول غير مأسوف عليه

فقل لي ناشدتك الله هل تدبّرتَ موضوعك بعين الناقد البصير ورسمتَ له قالبًا تفرغهُ فيه فاعتنيتَ بجمع شتاته وتنسيقه حتى تلاحمت اجزاؤهُ وارتبطت معانيه بعضها ببعض من غير حشو فجاء كلامًا جامعًا لكل ما يلزم مانعًا لكل ما لا يلزم ؟

فان فاتك ذلك ولم تفطن اليه فاسمع وفّقك الله شيئًا مما اورده الشاعر رَاسِينِ بمعرض الهزل في رواية

المُرافِعين

هجم كلب على ديك مسنّ فقتله. وكان صاحبهما مولعًا بالدعاوي فعيّن حاجبهُ لمرافعة الجرم وكاتبَ سرّهِ للمدافعة عنهُ. وجلس هو يسمع كلا الفريقين ليقضي في الامر

ولمّا كان الحاجب يجهل كل الجهل أساليب المرافعة تعيّن لهُ ملقّن يلقي في أذنهِ ما يجب عليه قولهُ فاخذ هذا الحاجب وهو المُرافع يتكلم بين تردّد وتقاطع واعتراض بصورة تضحك الثكلى مكرّرًا عبارات الملقّن في معنى ما يأتي :

ايها السادة . اذا ما امعنتُ النظر في احوال الزمان وتقلباته . اذا ما رأيت بين افراد الناس على اختلاف طبائعهم نجوماً سيّارة ليس بينها كوكب ثابت . اذا ما رأيت الشمس والقمر . اذا ما رأيت مملكة بابل افضت ازمّتها بعد النجم الى اليونان . اذا ما رأيت دولة الرومان استبدلت الملكية بالجمهورية ثم عادت الى الامبراطورية . اذا ما رأيت القياصرة ومجدهم . اذا ما رأيت اليابان . . . . . .

فقال متضجّرًا كاتبُ السرّ وهو المُدافع : فمتى ينتهي مما يراه ؟

فاستاء الخطيب من هذه المقاطعة وبعد الجدال حاول ان يعود الى سياق الكلام فلم يهتدِ واخذ يُنصت الى الملقّن فيسمع صوتًا ولا يفهم معنًى ويحرّك ذراعَيه في الهواء ولا ينطق ببنت شفة . ومما زاد في الطنبور نغمة انهُ تلعثم وتعذّر عليهِ التلفظ بكلمة عويصة فضاق صدره وعيل صبره وصاح :

لا اعلم ما الحاجة الى جميع هذه الاقوال الفارغة . امّا انا فلست اتخذ مثل هذه التعابير لأُخبر ان الكتاب فتك بالديك بل استغني عن كل هذه السفاسف واقول بصريح العبارة (بالقلم العريض) ان هذا الكتاب لا يُبقي على شيء . . فقد كثرت شروره . واول مرّة اعثر بهِ اضربهُ الضربة القاضية والسلام (عافاهُ الله . فكم لأمثالهِ مع سذاجتهم من الاقوال والاعمال ما لا يخطر للمتفلسفين ببال)

ثم قام المُدافع وشرع يسرد عبارات لا معنى لها ويورد نصوصاً تاريخية وامثالًا ادبية وآياتٍ حكمية (مع انهُ تضجّر من اسهاب خصمهِ) ويستند الى اقوال ارسطوطاليس . والقاضي يتململ ويصيح انّ لا دخل لارسطو في المسألة وهو لا يزيد الّا شرحاً ووصفاً ونقلًا حتى بُحَّ صوتهُ . والقاضي يأمره باختتام خطابه ويتوعدهُ انّهُ يحكم لخصمه إن لم يعجّل

فبعد اللّتيّا والتي لم يجد بدًّا من الانصياع لامر القاضي فهتف : أمّا ولا بدَّ من الايجاز (صانهُ المولى . وكيف الاسهاب) فاقول مختتماً : قبل ان يخلق الكون . فصاح القاضي : ايها المحامي انتقل الى الطوفان وخلّصنا

فلم يرعوِ الخطيب بل مضى على كلامه فقال : قبلَ ان يخلق الكون كانت الارض والعوالم وسائر الكائنات في العدم . وكانت العناصر الاربعة الماء والهواء والنار والتراب كتلةً لا شكل لها ولا هيئة ولا انتظام . . .

وغير ذلك من الاقوال مستشهداً بعباراتٍ من لغات مختلفة حتى ضاقت انفاس القاضي

واعياهُ الجهد فنام رغماً عن ولعهِ بسماع الدعاوي . فاذا بهِ سقط عن كرسيهِ واستفاق مذعوراً هذا والخطيب لا ينفكّ عن الكلام فاستولى اليأس على القاضي فولّى هاربًا

تلك هي (بالايجاز) حالة المرافع والمدافع . فما رأيك يا صاح . اجل انّ واسين اورد ذلك من باب الهزل . وكم وكم من الكتّاب يهرمون القرّاء من غير هزل ولا مزاح . وامثالهم كثيرون . ولكني اجترئ بالاشارة الى البعض منهم . وهم اقوامٌ لا تخفى عن الناس حالهم

انّهُ لا يرزق رجل . ولودًا الّا انهالت عليه قصائد التهانئ من كلّ صوب مشحونة مديحًا للاب ووصفًا لما حلّ في الكون من الافراح بوفود الطفل . فيخال للقارئ ان هذا المولود ابن اعظم العظماء عليهِ عُلّقت آمال امّة بل الامم جميعها . لهُ غنّت البلابل وسطعت الشمس واهتزّت الارض طربًا وترنّحت الافلاك حبورًا . ولولاه لما كان على الارض سرور

و . . . و . . . و . . .

وان نالت رجلًا نعمة فلا تسل عن المهنئين والمقرّظين المتنافسين في وصفه ببلاغة سحبان وكرم حاتم وشجاعة عنتر فينعتونهُ بربّ السيف والقلم (وكثيرًا ما هما بَراء منهُ) ويجاهرون ان من كفّيهِ دجلة والفرات والنيل والبرّ (يا ربّ نجنا من الطوفان)

واذا مات بشر طفلًا كان او شابًّا او شيخًا عظيمًا كان او من عامّة الناس . امطرتنا السماء مراثي كلّ منها اطول من شهر الصوم تذكر تاريخ الامم الغابرة وتعدّد صروف الزمان وما انزل من العبَر في الممالك الدارسة وتصف هول الخطب الذي اندكّت منهُ الجبال وتزلزلت الارض ومادت الافلاك وترعزعت اركان السماء (فيقضي القارئ دكّات ورعبات كما تقول العامّة) ويبكي الحيّ والجماد وتدفقت الدموع انهرًا وبحارًا (يا ربّ نجنا من الطوفان)

اراك يا صاح لا تذرف العبرات من هولِ مصابٍ اهتزّت لهُ الكائنات . كيف لا تتباكى مع الباكين فانت تضحك هازئًا بما تقرأ . وابي انك لفي صواب

فما لهؤلاء الكتّاب في كل وادٍ يهيمون . ان كان ذلك قولهم في عامّة الناس فما يقولون في العظماء والملوك . ما لهم يهزّون الارض وتزعزعون اركان السماء لاقلّ حادثٍ يقع . ما لهم يهرمون القراء مجانًا بابيات لا تحصى وليس منها جدوى ومعانٍ لا طائل تحتها يكرّرونها في كل الاحوال واوصاف باطلة ينعتون بها كل فردٍ من البشر

او ليس من الصواب ان يعرضوا عن الكلام الفارغ الى الكلام الجامع المانع فيقولون في كل حادث ما يناسب مقتضى الحال ويصفون الرجل بمزاياه الخاصّة فلا يتعدّون الى

الاقوال العامّة المبتذلة . ففي الافراح يهنئون الرجل ويصفون فرح ذويه . وفي المديح يمدحون الممدوح بكمالاته الشخصية . وفي المراثي يذكرون الفقيد بمآثره ويعزّون آلهُ بما يناسب المقام مما يكون بلسماً لجراحهم

اما اذا بالغوا واشركوا في الافراح والاتراح الخافقين والثقلين وال . . . وال . . . عاد مدحهم ذمًّا وتهانيهم شقشقة لسان ورثاؤهم تهكُّماً

ويا حبذا لو عدلوا عن نظم القصائد فاراحوا انفسهم واراحوا الشعر والناس . فكانوا من القرّاء لا من الكتّاب واشتغلوا عن التأليف بمطالعة الابيات الرقيقة والمعاني المبتكرة التي تجود بها قرائح الشعراء الاقدمين والمحدثين فتظهر في حينها وقتًا لمقتضى الحال . فان هؤلاء الكرام يأتون من القول لجامع المانع بما لهُ اعظم وقع في النفوس فان مدحوا وفعوا . وان رثوا ابكوا وان وصفوا فتنوا الالباب . . .

قد ذكرتُ لك ياصاح صنفين من امثال الرافع والمدافع . وكم وكم بقي من الاصناف . فهيّا بنا نسمع الخطباء في المحافل والمقرّظين في الافراح والولائم والمؤبنين فوق كل ضريح وغيرهم وغيرهم ممّن قالوا وكتبوا في كل أينٍ وآنٍ فاضرّوا بانفسهم وباخوانهم الافاضل . .

لكني اراك عيل صبرك مما سمعت وكادت تبلغ منك الروح التراقي . فما عليَّ في ذلك من حرج لاني بريء من طول الشرح . وما الصفحات مشحونة من كلامي بل من كلامهم حفظهم الله . ولولا ايراد اقوالهم لما تعدّيتُ الصفحة الواحدة

وعلى كلٍّ قد كفى ما قد ذُكر . انّك رأيت العبرة فاعتبر . فعليك دائمًا بالقول الجامع المانع . وايّاك من الاسهاب المملّ والكلام غير المفيد . والّا استعاذ الناس من شرّك صارخين : يارب نجنا من الطرفان

تنسيق المُزْدَرَعات *

لجناب الشاب الاديب سليم افندي اصفر

انا نفهم بتنسيق المزدرعات تقسيم الاراضي المستثمرة الى قِطَع (وعند العامّة فِطَم) مساوية لعدد النباتات المزروعة فيها والفرنج يدعون ذلك (assolement)

* هذه اخصُّ التآليف الفرنسيَّة التي طالعناها لكتابة هذه المقالة :

L. Magnien : *Le Livre de la ferme.* — E. Gain : *Précis de Chimie agri-*